وحدة الصف ضرورة نستلهمها من أحداث التأريخ
(العرب والكرد أنموذجًا)

د. عبد الرحمن إدريس صالح
جامعة ديالى – كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التأريخ

المستخلص

كان العراق وعلى مدى آلاف السنين محطّ أنظار الطامعين والمتربصين للنيل منه، وعانى ما عانى شعبه من مشاكل وأحداث جِسام لاسيما في التأريخ السياسي الحديث، وكانت المسألة الكردية واحدة من أبرز تلك المشاكل في مجرى ذلك التأريخ، ولازالت لها جوانب معقدة ومتشابكة تداخلت فيها الأبعاد السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية حتى أصبح التعامل معها يتم عبر إجراءات تكتيكية مصلحية وليس بهدف المعالجة.

إن روابط الأخوة العربية – الكردية لم تنقطع على الرغم من كل المضايقات التي تعرض لها الكرد عبر التأريخ وذلك لتفهمهم أن ما جرى لهم هو من تخطيط الأنظمة الدكتاتورية والألاعيب الاستعمارية، إن العربي الذي يعتز بقوميته عليه أن يعترف ويعتز بالقومية الكردية والعكس ضروري أيضًا كي يثبتوا بالبرهان شراكتهم في الوطن وعراقيتهم تسبق كونهم عربًا وكردًا.

قُسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسة تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة، تطرق المحور الأول إلى طبيعة فئات المجتمع العراقي ومصيرهم المشترك فضلاً عن بروز حالة التسامح على الرغم من عدم الاستقرار السياسي الذي تعرض له العراق عبر التأريخ، وكُرس المحور الثاني لدراسة الحرب العالمية والعواطف الوطنية، فيما اختص المحور الثالث بذكر بعض المواقف الكردية الخالدة خلال تلك الحقبة التي تطرق لها المحور، وفي الخاتمة تم عرض أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها.

اعتمد البحث على عدد من المصادر المهمة في الوقت الذي تم اعتماد النظرة التحليلية في عرض المادة وتبويبها بهدف فهم الأحداث التي عاشها الكرد والعرب داخل عراق موحد. عسى أن نكون قد وفقنا في بحثنا اليسير هذا والحمد والشكر لله .

المقدمة

كان العراق وعلى مدى آلاف السنين محط انظار الطامعين والمتربصين للنيل منه، وعانى ما عانى شعبه من مشاكل وأحداث جسام لاسيما في التأريخ السياسي الحديث، وكانت المسألة الكردية واحدة من ابرز تلك المشاكل في مجرى ذلك التأريخ المزدحم بالأفكار والآراء الحرة (المدمقرطة) والمتضاربة خلال هذه الحقبة المليئة بالاحداث التي مرَّ بها العراق، ولا زالت للمسألة الكردية جوانب معقدة ومتشابكة اذ تتداخل فيها الابعاد السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية حتى اصبح التعامل معها يتم عبر إجراءات تكتيكية مصلحية وليس بهدف المعالجة. وعلى الرغم من كل ما شهده تأريخ الكرد

من أوضاع دولية وإقليمية كانت تتم على حسابه في بعض الأوقات، إلاّ أن الظروف المستجدة والتحولات الجديدة نراها قد تصب في صالحه، في الوقت الذي فتحت للقيادات الكردية المجال للتأثير في المنطقة، إلاّ ان ذلك لا يمنع من الإشارة إلى ان المسألة الكردية – بشكل عام – كانت قد تعرضت للتشويه بما فيه الكفاية من قبل ذوي النظرات الشوفينية الضيقة، مما يتطلب دراستها بصورة علمية موضوعية وبالشكل الذي يحقق نجاحاً لجوانبها المختلفة على الرغم من ان حلها كان من المسائل التي اختلفت فيها وجهات نظر العديد من الشخصيات والقوى السياسية.

استندت الصلات بين العرب والكرد إلى أرضية تأريخية وثقافية ودينية مشتركة، وإن روابط الأخوة بين الطرفين لم تنقطع على الرغم من كل المضايقات التي تعرض لها الكرد عبر التاريخ وذلك لتفهمهم إن ما جرى لهم هو من تخطيط الأنظمة الدكتاتورية والألاعيب الاستعمارية، وإن العربي الذي يعتز بقوميته عليه ان يعترف ويعتز بالقومية الكردية والعكس ضروري أيضاً كي يثبتوا بالبرهان شراكتهم في الوطن وعراقيتهم تسبق وصفهم عرباً وكرداً، ولا شك ان العهد الجديد سيكون اكثر اشراقاً وخالياً من الاخطاء اذا ما صفت الأنفس وتطلعت للحياة الحرة الكريمة.

إن ما جرى من تهميش للقضية الكردية وغمط لحقوق الكرد هو ما أوصل الامور في المناطق الكردية إلى حالة عدم الاستقرار، والمتتبع للحركات الكردية في العراق منذ الحرب العالمية الأولى يجد ان اسبابها كانت مزيجاً من الشعور الوطني والشكاوى المحلية، ولم تكن في أغلبها تهدف إلى الانفصال، ولا شك انه كان باستطاعة الحكومات الوطنية تجنيب المنطقة العديد من المشاكل ومعالجة اسبابها بحكمة وروية.

سعت بريطانيا منذ الحرب العالمية الأولى إلى ان تضع القضية الكردية موضع المناورة والتعقيد خدمةً لاغراضها الاستعمارية، وظلت تتلاعب بها مدة غير قصيرة، والملفت للنظر ان حكام الاطراف الدولية المعنية بالقضية الكردية لم تحرك ساكناً،وبقت خاضعة للمخططات الاستعمارية ومتجاهلة للحقوق الكردية، الأمر الذي جعل المنطقة (كردستان) بوصفها برميلاً للبارود معرض للانفجار في أي وقت من الأوقات أو كما تشاء السلطات الاستعمارية لاسيما اذا ما تعرضت مصالحها للخطر أو للانتهاك ، متناسية العمق التأريخي الذي يستند إليه الشعب الكردي وعمق التضحيات التي أعطاها في سبيل مواجهته للتحديات على مرّ التأريخ.

قُسم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسة تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة، تتطرق المحور الأول إلى طبيعة فئات المجتمع العراقي ومصيرهم المشترك فضلاً عن بروز حالة التسامح على الرغم من عدم الاستقرار السياسي الذي تعرض له العراق عبر التاريخ، وكُرسّ المحور الثاني لدراسة الحرب العالمية الأولى والعواطف الوطنية التي ربطت كرد العراق بعُربه. وأختصّ المحور الثالث بذكر بعض المواقف الكردية (الخالدة) خلال تلك الحقبة التي تطرق لها المحور. وفي الخاتمة تم عرض أهم الاستنتاجات التي توصلنّا إليها من خلال البحث.

اعتمد البحث على عدد من المصادر ذات العلاقة بالموضوع يمكن التعرف عليها من خلال هوامش البحث، فضلاً عن اعتماد النظرة التحليلية قدر المستطاع في عرض المادة وتبويبها بهدف فهم الأحداث التي عاشها الكرد والعرب داخل عراق موحد.

المصير المشترك

معروف ان فئات المجتمع العراقي متنوعة وإن التأريخ لم يكشف حالة من الصراع الذي افرزه ذلك التنوع بشكل واضح، لا بل كشف التأريخ حالة من تداخل فئات المجتمع في إطاره الجغرافي وتسامح على الرغم من عدم الاستقرار السياسي الذي تعرض له البلد عبر التأريخ. ومن المفيد أن نشير إلى أن تاريخ الشعوب مليء بالمتغيرات الثورية والسياسية والذي قد يلازم حركة التطور لتلك الشعوب.

لم تكن العلاقة بين العرب والكرد وليدة التأريخ الحديث، وإنما تعود إلى حِقب موغلة بالقدم حتى اصبحت كردستان جزءاً من الدولة العربية الإسلامية منذ عام ٦٤٠م وامسى الكرد ضمن نسيج المجتمع الإسلامي وتشرفوا بخدمة الإسلام وحُسنَ إسلامهم[١]. واسهموا في رفد الاسلام وبرزت ظاهرة نفوذ رجال الدين على طبقات واسعة من المجتمع الكردي[٢].

وإذا ما انتقلنا من العموم إلى الخصوص فإن هناك اسراً معروفة في كردستان العراق تنحدر من صلب الرسول محمد (ﷺ) وهي في الاصل اسر علوية اتخذت من جبال كردستان ملاذاً آمناً لها خلال حقبة الخلافات السياسية في العصر العباسي، ومن هذه الاسر هي الاسرة البرزنجية التي استحوذت على مراكز القيادة والصدارة في المجتمع الكردي بعد ان عرفت بتوجهها الديني والتصوفي، وبرز منها رجال تبوأوا مواقع رفيعة في مجال العلم والتضلع بأصول الفقه والادب واللغة[٣]. ومن أبرز رجال تلك الاسرة الشيخ معروف النودهي (١٧٥٢–١٨٣٨م) الذي عمل في تدريس الناس وإرشادهم[٤]عرف بفصاحة اللسان، اذ دَرَسَ الدين، والشعر، والأدب، فنظم الأشعار باللغات العربية، والكردية، والفارسية، وألف العديد من الكتب لاسيما في فروع مختلفة من علوم اللغة كالنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، وآداب البحث، والفقه والحديث وأصولهما فضلاً عن العقائد، والعروض، والقوافي[٥]. وبلغ ولده كاكه أحمد (١٧٩٣–١٨٨٧م) شأناً كبيراً بالوجاهة في السليمانية، اذ اخذ العلوم عن ابيه واشتهر بالعلوم الدينية والزهد، حتى ألف كتباً عدة في التفسير، والحديث، والفقه، وكان كريماً فيما يعتقد انه الحق فرفعه البعض من مريديه إلى منزلة الأولياء[٦]. حتى استعان به السلطان العثماني عبدالحميد الثاني في بعض المواقف التي تطلبت حشد بعض القوى الكردية آنذاك[٧].

وهكذا توارثت الأسرة البرزنجية التي يعود نسبها للامام موسى الكاظم (عليه السلام) زعامة الطريقة القادرية في كردستان العراق، وتبوأت مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع الكردي هيأت لها مركزاً اقتصادياً رفيعاً، اذ امتلك أبناؤها اراضٍ زراعية واسعة في السليمانية وخارجها الأمر الذي دعم مركزها الاجتماعي ومنحها فعالية في المجتمع الكردي وراحت اخلافها تضرب على الوتر القومي

الكردي. وظهر من بين الكرد أيضاً علماء، وفقهاء، ومحدثون، ومفسرون، أدباء، ومؤرخون قدموا خدمات علمية عظمية للعالم الإسلامي منهم ابن تيمية، وابن حجر، وابن الحاجب، وابن خلكان، والدينوري فضلاً عن العلاّمة محمّد عبده، وأمير الشعراء أحمد شوقي، والمؤرخ محمّد كرد، والأديب محمّد الخال، والعلاّمة عبدالكريم المدرس، والأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد، وغيرهم من قادة العلم[٨].

في ظل الحقبة المضطربة التي سبقت الحرب العالمية الأولى وفي إطار ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وانعكاساتها الفكرية والقومية على بلاد ما بين النهرين نجد ان العراقيين قد اتجهوا بخطاهم نحو تحقيق الاهداف السياسية تحت مظلة تداعي السلطة العثمانية في المنطقة، وأخذت الحركة الفكرية القومية تتبلور بين أوساط مختلفة من شرائح المجتمع العراقي في الشمال والوسط والجنوب.

الحرب العالمية والعواطف الوطنية

جاءت الحرب العالمية الأولى (٢ آب ١٩١٤)[٩] لتفتح تطلعات جديدة أمام الحركات القومية لاسيما العربية والكردية، وفي محاولة لوقف زحف القوات البريطانية نحو وسط العراق، فسعت السلطات العثمانية لتوظيف القوة العشائرية (عربية وكردية) وتحريضها للاشتراك في القتال ضد القوات البريطانية باسم الجهاد، وتمكنت في نهاية المطاف من استغلال عواطف الطرفين (عرباً وكرداً) وضمان مشاركتهما في الحرب إلى جانب القوات العثمانية[١٠]. إذ تحركت جموع كبيرة من الكرد من أطراف مناطق الموصل، والسليمانية، وأربيل تحت زعامة شخصيات كردية معروفة[١١] باتجاه جنوب العراق لملاقاة القوات البريطانية وكان توجه تلك الجموع محط إعجاب الناس وانتباههم في وسط العراق وجنوبه[١٢]، حتى ذكر بعضهم إن بغداد خرجت "بشيبها، وشبابها، وأطفالها، ونسائها، لاستقبال اخوتهم الكرد"[١٣]، وقام العثمانيون بتقسيم المجاهدين العرب إلى ثلاث مجاميع اشرف عليها السيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ عجمي السعدون، والشيخ عبدالله الفالح[١٤]، في الوقت الذي أشرفَ ضياء بك (نائب أزميت) على عشائر بني حچيم والعشائر الكردية[١٥].

دارت رحى معركة الشعيبة يوم الاثنين الموافق ١٢نيسان ١٩١٥[١٦]، وتكبد المجاهدون العرب والكرد خسائر عديدة بفعل نيران المدفعية البريطانية، وانتهت المعركة يوم ١٤نيسان ١٩١٥ باندحار القوات العثمانية وانتحار القائد العثماني سليمان العسكري[١٧] في الوقت الذي اختلطت فيه دماء الاخوة الذين شكلوا عنصرين مهمين من مكونات الشعب العراقي، وتتابعت الاحداث ليشارك الكرد في إرهاصات الحركة العربية بعد ان اعلن الشريف حسين بن علي أمير مكة الثورة على السلطات العثمانية عام ١٩١٦، وانضوت تحت لواء تلك الثورة اعداد من القادة والجنود الكرد قاتلوا في صفوفها حتى حققت الثورة اهدافها[١٨]. ومن الجدير بالذكر ان الدوافع الوطنية والقومية كان لها الاثر في تحرك الجماهير آنذاك، فمن طرفه بعث الشيخ محمود الحفيد[١٩] من السليمانية رسالة وجهها إلى الشريف

حسين وأولاده مقترحاً فيها عليهم تعاون الطرفين ضد سياسة الاتحاديين[٢٠]، وعلى الرغم من ان تلك المحاولة لم تسفر عن نتائج ملموسة في حينها، الا انها مثلت محاولة للقيام بعمل مشترك يخدم القوميات التي سعت للانعتاق من السيطرة فضلاً عما تمثله من انعكاسة واضحة للاحداث العربية في المناطق الكردية. وعند تسلم الامير فيصل بن الحسين عرش العراق في ٢١ آب ١٩٢١ آزره العديد من الشخصيات الكردية[٢١]. وأسهموا في بناء الدولة العراقية الحديثة وتقلد بعضهم مناصب عليا في الحكومة كرئاسة الحكومة والوزارات وعضوية المجلس النيابي، والأعيان حتى في قيادة الجيش العراقي أمثال أحمد مختار بابان، وماجد مصطفى، ورفيق حلمي، وبكر صدقي، وتوفيق وهبي، وجمال بابان، وسعيد قزاز... [٢٢]، ومنهم من خدمَ في السلك الدبلوماسي ورفد السياسة الخارجية للعراق وكان من بين الشخصيات الكردية التي تسنمت حقيبة وزارة الخارجية داود إبراهيم الحيدري، وجمال بابان[٢٣].

ومما تجدر الإشارة إليه ان عام ١٩٢٠ افرز مؤشراً إيجابياً مرَّ به تأريخ العراق السياسي في كل ارجائه شمالاً ووسطاً وجنوباً[٢٤]، إذ شهدت مدن العراق صدامات مسلحة ضد القوات البريطانية تأججت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ لم تنته إلا في خريف عام ١٩٢٠ بعد ان تكبدت القوات البريطانية خسائر بشرية ومادية كبيرة[٢٥] وبدأت شواهد الثورة في كردستان العراق واضحة من خلال الانتفاضات العشائرية ضد الوجود البريطاني في العراق، كما لم تكن اربيل ببعيدة عن احداثها، اذ تعرض الحاكم السياسي فيها (هي– Hee) لمحاولة اغتيال في مضيق كلي علي بيك أوائل شهر آب ١٩٢٠، وعلق (هي) بنفسه على الأحداث في اربيل مشيراً إلى "ان ثورة كبيرة على وشك الحدوث وكان المحرضون السريون ناشطون في المقاهي، يثيرون الناس ويحفزونهم على الثورة.." [٢٦]، وأكد لونكريك على ان الإدارة البريطانية في أربيل انسحبت من اقضية رانية، وكويسنجق، وباتاس بعد ان تعرضت إلى ضغط شديد[٢٧]. وبذلك يكشف التاريخ عن أثر إيجابي للكرد في ثورة العشرين من خلال اسنادهم لاخوتهم في الوسط والجنوب وهم يخوضون غمار النضال الوطني ضد الوجود البريطاني الاستعماري في العراق.

مواقف كردية خالدة:

وخلال تلك الحقبة التأريخية التي تخللتها وجود بريطانيا في العراق يمكن القول ان مشكلة الموصل ظهرت بوصفها نتيجةً من نتائج الحرب العالمية الأولى بعد اندحار الدولة العثمانية مثلما ظهرت منعطفاً في مجرى الصراع الدولي آنذاك، وكانت انعكاسات تلك المشكلة واضحة على مسارات السياسة العراقية داخلياً وخارجياً حتى انتهت عام ١٩٢٥ بعد ان نجحت عصبة الامم في حسمها لصالح بقاء الموصل إلى جانب العراق، وباختصار نشير إلى كرد العراق أسهموا في إبقاء الموصل إلى جانب العراق، وإذا ما أردنا إثبات ذلك فيمكن الاشارة إلى أثر كرد السليمانية في ذلك، والمعروف إن السليمانية كانت قد عاشت أياماً عصيبة لاسيما خلال المواجهات التي دارت بين الثوار الكرد بقيادة

الشيخ محمود الحفيد من جهة والقوات البريطانية من جهة ثانية، وكان للشيخ محمود علاقات مع الكماليين بهدف إضعاف الوجود البريطاني في المنطقة فضلاً عن ان المنطقة كانت تمتاز بكونها منطقة كردية خالصة، الأمر الذي ولد مخاوف بريطانية كشف عن بعضها الضابط البريطاني المتخصص بشؤون القضية الكردية (أدموندز) والذي كان متواجداً في المنطقة خلال تلك الاحداث بوصفه مسؤول يمثل السلطات البريطانية هناك[٢٨]، وكانت اللجنة التي شكلتها عصبة الامم للنظر في مشكلة الموصل تستشيره دائماً، إذ اكد على ان اللجنة التقت بعدد من شيوخ وأغوات السليمانية فعبّر أولئك الوجهاء عن موقفهم تجاه المشكلة، وإن الشيخ محمود الحفيد الذي كان يحظى بشعبية واسعة في المدينة "كان أذكى وأبعد نظراً من أن يُظهر نفسه أثناء زيارة اللجنة وبقي بعيداً... وانتظر حتى عادوا فواصل تكتيكه الحربي"[٢٩]. كما واستطرد أدموندز قائلاً "إن بشائر النصر الفاصل في السليمانية بدت واضحة، وباستثناء لواء السليمانية لا توجد منطقة واحدة مؤلفة من عدة نواح، إلا وكانت أغلبيتها النسبية تصوت لصالح احد الطرفين، وهو ما لاحظناه.. وفي لواء السليمانية وحده ظفرنا بأدق تعبير لوجهات النظر وكان فيها القول الفصل.." [٣٠].

وبذلك يكون كرد العراق وفي مقدمتهم الشيخ محمود الحفيد قد خدموا قضيتهم الوطنية والقومية من خلال تصويتهم لصالح بقاء الموصل إلى جانب العراق. ولا يخفى على الكثير من أن لجنة العصبة كانت قد استجوبت في هذا الخصوص شرائح مختلفة من المكون العراقي آنذاك، وظهر هناك من أيد بقاء الموصل للعراق وغيرهم من وضع شروطاً أو أراد حكماً إسلامياً فضلاً عن الذين لم يُبدوا أي رأي والذين وقفوا إلى جانب تركيا في ادعاءاتها[٣١]. ومن المفيد أن نشير إلى أن الموقف الشعبي والرسمي في العراق بصورة عامة كان متشدداً في مسألة إبقاء الموصل إلى جانب العراق حتى وجد عدد من أعضاء المجلس التأسيسي في ٢٧ آذار ١٩٢٤ في الموصل الرأس الأساسي للعراق ولا عراق بدون الموصل، وكان من بين الأحزاب والجمعيات التي تشكلت للدفاع عن عروبة الموصل آنذاك، جمعية الدفاع الوطني والتي ضمت تجمع قومي ديني من مختلف العناصر الشعبية، والتقى عدد من أعضائها لجنة التحقيق الدولية التي وصلت حينها إلى مدينة الموصل، أكدوا أمامها على عروبة الموصل "وإن أقضيتها عربية وكردية" كما عبّر عدد من زعماء الكرد عن آرائهم في هذه القضية بالمذكرات والبرقيات التي أرسلوها إلى لجنة التحقيق الدولية وعصبة الأمم، مثلما أرسلت الجمعية الكردية في السليمانية في ١تشرين الأول ١٩٢٤ مذكرة إلى مجلس العصبة أنكرت فيها وجود أي علاقة بين الكرد والترك سوى الدين، في الوقت الذي طالبت فيه عشائر الداوده، والطالبانية، بإبقاء الموصل ضمن العراق[٣٢]، وفي سياق هذه المواقف أكد امين سعيد على انه سمع الشيخ محمود الحفيد يقول: إن من أقصى أماني الكرد أن يعيشوا متحدين مع العرب[٣٣].

ولنا ان نذكر أيضاً بأننا تعرفنا من خلال دراستنا لصفحات التأريخ على الدور البطولي للناصر صلاح الدّين الأيوبي (١١٣٧-١١٩٣م) في التصدي للحملات الصليبية ومع إن تلك الشخصية

الفذة قد برزّتها عوامل منها القيادة الفذة والغطاء الاممي الاسلامي حتى اصبح جامعاً إسلامياً إذا صح التعبير، إلا ان هناك صوراً تاريخية جسدتها شخصيات قد ترتقي إلى منزلة أو مقاربة لصورة الأيوبي (بحسب رأينا المتواضع)، فمشطوب الحيكَاري شخصية كردية ترك أهله وعروسه التي لم يبقَ معها سوى يوم واحد ليتطوع للدفاع عن فلسطين وهناك استشهد، كما لا يخفى أيضاً على العديد ممن قرأ في هذا المجال، دون ان تخفيه الوثائق البريطانية، إن هناك عدداً من الشهداء الكرد سقطوا عام ١٩٤٨ وهم يدافعون عن فلسطين ودفنوا مع إخوانهم الشهداء في نابلس، وفي هذا السياق من المفيد أن نشير إلى أن لكرد العراق رأيًا مسموعًا في الجيش العراقي وطبيعة تكويناته وتشكيلاته فضلاً عن سُبل إصلاحه وكيف يجب أن يكون عليه الجيش منذ عهد الملك فيصل بن الحسين في العراق (١٩٢١-١٩٣٣) ، ففي إشارة إلى الأستاذ المرحوم أمين زكي والذي كان في حينها نائباً عن السليمانية في مجلس النواب العراقي عام ١٩٢٨، أكد على أنَّ مسألة العناية بالجيش العراقي لها "أهمية عظمى ولا يجوز أن تدقق بصورة سطحية بل يقتضي درسها من جميع الوجوه ومن قبل هيأة إحصائية مسؤولة" وتعمق زكي في دراسة قانون التجنيد الإجباري وطريقة التطوع والأصول المزدوجة التي تعتمد على دمج الطريقتين الأولى والثانية[٣٤].

ومن مؤشرات الاهتمام بالوحدة الوطنية يمكن أن نشير إلى أن قائد انقلاب ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦، بكر صدقي، كان قد ظهر في العديد من المناسبات بأنه مؤمن بالقضية العربية وكتب للأديب والسياسي اللبناني يوسف إبراهيم يزبك رسالة نشرها الأخير في جريدة صوت الأحرار البيروتية أشار فيها بكر صدقي إلى أن "الجهاد من أجل الوطن العربي الأكبر – قبلة كل مجاهد وهدف كل رامٍ" وأختتم بكر رسالتهُ مؤكدًا على أن الغاية الشريفة المنشودة هي جمع شمل العرب جميعًا[٣٥]. وتميزت تلك الحقبة (العهد الملكي) من تأريخ العراق السياسي بازدياد فرص التقارب بين الاحزاب وقيام التعاون فيما بينها[٣٦]، وذلك من خلال الجبهات الوطنية والاتحادية التي ضمت خليط من مكونات المجتمع العراقي المختلفة، كما وتطلبت الاوضاع التي مرَّ بها المجتمع العراقي لاسيما في كانون الثاني ١٩٤٨ تأليف لجنة التعاون الوطني من تكتّل الأحزاب غير المجازة منها: الحزب الديمقراطي الكردي ممثلاً برشيد عبدالقادر، وحزب الشعب المعطّل آنذاك ممثلاً بعزيز شريف، والجناح التقدمي للحزب الوطني الديمقراطي ممثلاً بحسين جواد الغالب، فضلاً عن الحزب الشيوعي ممثلاً بمالك سيف، وقد طالبت هذه اللجنة باستمرار النضال الجماهيري ضد معاهدة بورتسموث[٣٧]. الأمر الذي عكس طبيعة التوجهات الوطنية والشعبية داخل العراق ودور العرب والكرد في رفض معاهدة بورتسموث على الرغم من اختلاف مواقف الأحزاب من السلطة القائمة آنذاك.

وبدوره أسهم الملك فيصل الأول في ترسيخ الوحدة الوطنية وأقام روابط ثابتة من المشاعر والاهداف المشتركة بين عناصر العراق المختلفة من خلال الروحية التي جمعت العراقيين عرباً، وكرداً، وتركماناً مع الاقليات الاخرى، واعتقد الملك ان اعظم واجبات العربي العراقي تشجيع أخيه

الكردي العراقي على التمسك بقوميته والانضواء تحت الراية العراقية[٣٨]. وهناك الكثير من العرب ممن شَعَرَ بالروابط الثقافية والتأريخية التي تربطه بالكرد، وراح يكتب عن القضية الكردية ويبرّز حقوقها المشروعة مثلما سعى الآخرون للحفاظ على الحقوق التأريخية التي تربط الطرفين، ولسنا مغالين إذا ما قلنا إن العناصر التقدمية من الكرد والعرب يدركون جيداً ويفهمون بوعيٍّ كاملٍ طبيعة العلاقات المصيرية التي ربطتهم منذ أمدٍ بعيد حتى أصبحت الأخوة العربية – الكردية بمثابة حجر الزاوية في الوحدة الوطنية العراقية.

وأخيراً وليس آخراً فإن هناك من أشار إلى ان الأمريكان قد نجحوا في تشكيل نواة الحكومة الكردية في شمال العراق كخطوة لإقامة دولة كردية موالية للولايات المتحدة في الشرق، الغرض منها حماية البترول وخلق اوضاع مستقرة لصالح الاقتصاد الرأسمالي[٣٩]. والملفت للنظر ان الولايات المتحدة الامريكية لها نظرة مغايرة تجاه أكراد تركيا، إذ لا تعترف بوجود أراضٍ كردستانية في تركيا، على الرغم من ادعائها الديمقراطية، فضلاً عن موقفها من حزب العمال الكردستاني حتى إنها تعاونت في إلقاء القبض على قائده عبدالله أوجلان وهو تعدٍّ واضح على حقوق الكرد، وبذلك تتضح الازدواجية الامريكية التي اخذت الدور البريطاني السابق وحلت محله حالياً، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يتمكن الإخوة الكرد من مواجهة كل التحديات الخارجية والداخلية بهدف تحقيق مكاسب على مستوى الاستقلال أم ستجرهم تلك التحديات إلى ردّم الخنادق وطوي صفحة الماضي البغيض وتهيأة السبل لتحقيق نظام سياسي في العراق يمتلك مقومات الوحدة، والعدل، والقوة، والإنسانية؟

الخاتمة

يخال للكثير أن الأحداث الجِسام ووقعها على المجتمعات تفضي في نتيجتها إلى التغيير،وبقدر نسبة الصحة في تأثير تلك الأحداث على مسار التغير، فإن الحفاظ على المكاسب الناجمة من تداعيات تلك الأحداث ومواجهة الصعوبات هي المعيار الحقيقي للتغيير، وإن العمل الجماعي المخلص هو الذي يحفظ حقوق السكان ويدعم روابط الإخوة التي ترنو الى مشروع وحدوي تسوده الحرية والديمقراطية دون غمط لحق قومي تحت مظلة الوحدة الوطنية، مشروع يكون فيه الامتياز للعمل المثمر الساعي لخدمة الجميع.

إن التغيرات التي شهدها بلدنا العزيز أدت وللأسف إلى ظهور حالة التناقض بين افراد الشعب، الأمر الذي يلقي العبء على مثقفينا وعلمائنا للعمل بما يثير حالة الوعي الجماهيري ويدعم مقومات الوحدة التي تشكل القومية ركناً اساسياً من اركانها، إذ ان معرفة واحترام القوميات المكونة للنسيج الشعبي للمجتمع عناصر داعمة لمقومات الوحدة فيه.

التأريخ هو الذي حَكمَ بعمق العلاقة العربية – الكردية والتي بنيت على أُسس اجتماعية واقتصادية وسياسية وكشفت الأحداث إن الكرد كانوا ولا يزال كثيرًا منهم من أشد المتحمسين للديانة الإسلامية وازداد احترامهم للعرب واشتركوا معهم ببعض العادات والتقاليد مثلما شاركوهم بحركات

التحرر الوطني وحركة البناء، وساهمت الجغرافية في التكامل الاقتصادي للمناطق التي سكنها الكرد مع المناطق العربية حتى أصبح انتاج المناطق السهلية مطلوبًا في المناطق الجبلية والعكس صحيح أيضاً، ومن جهتهم أضاف الكرد إلى الثقافة العربية ثروات فكرية لم تقتصر على مجال معين بل شملت التأريخ، والأدب، والشعر، والنحو، والبلاغة، والعروض، وغيرها، وبرز في هذه المجالات أسماء لامعة كانوا من أصلٍ كرديٍّ.

إن المسألة الكردية واحدة من المسائل الوطنية الأساسية للعراق لارتباط الكرد بروابط تأريخية، وثقافية، وشيجة بالعرب، وإن تناول أثر كرد العراق في رفد المسيرة الوطنية إنما هو تناول لمسائل وحدتنا التاريخية التي بُنيت بجهود الجميع فمثلها كمثل التأريخ الذي يصنعه الناس جميعاً في ظل أجناس، وأديان ومذاهب ولغات مختلفة، وعلى هذا فإننا كعراقيين علينا أن ندرك أبعاد المخططات الاستعمارية ونستثمر الوقت لصالح الجميع ونتطلع نحو مشاركة فعلية لتقويض الأفكار الشوفينية، فضلاً عن التمسك بالديمقراطية الحقيقية، دون ان تكون هناك تنازلات خاضعة لإملاءات خارجية بهدف الحصول على بعض المكاسب الشخصية لهذا الطرف أو ذاك. وتبقى المطالب والثورات الشعبية الصادقة تسعى وراء غاية شريفة، مثلما هي وليدة شعور عام لأمم حية تحملت المصاعب لتحيا حياة سعيدة أو تموت موتاً مشرفاً، إذ من الواجب على العرب والكرد أن يعملوا سوية لخدمة الإنسانية وإسعادها من خلال سيادة السلم، والسلام، وإشاعة الحب، والوئام.

Abstract

And the need for unity of the events of history Inspired by (Arabs and Kurds An example)

Iraq was over thousands of years the focus of attention of aspirants and predators to get him, and suffered what people have suffered from problems and grave events, especially in recent political history, and the Kurdish question is one of the most prominent of these problems in the course of that history, and still have aspects of the complex and interrelated overlapped the political dimensions, and economic, social and even became a deal with them is through tactical measures of self-interest and not for the purpose of treatment.

The ties of brotherhood Arab - Kurdish did not stop despite all the harassment suffered by the Kurds through history and to their understanding that what happened to them is one of the planning systems of dictatorship and games are colonial, the Arab who is proud of their identity has to recognize and proud nationalism, Kurdish and vice versa is also necessary to show proof their partnership in the nation and Aracathm before they are Arabs and Kurds.

Search section into three main topics are preceded by an introduction and followed by a conclusion, he turned the first axis to the nature of Iraqi society and their common destiny as well as the emergence of state of tolerance in spite of political instability suffered by Iraq through the history, and devoted the second axis to study the World War and the emotions of national, as singled out The third axis by mentioning some of the positions Kurdish immortal through that era, which touched on her axis, and the conclusion has been the most important conclusions that we reached.

The research on a number of important sources at the time of adoption of the analytical approach in the presentation of the material and tabulation order to understand the events experienced by the Kurds and the Arabs within a unified Iraq. It may be that we have been successful in our little this and praise and thank God.

الهوامش والمصادر

(1) "كتابات في المسألة الكردية"، ج١، إعداد رفيق صالح، مطبعة شـفـان، السليمانية، ٢٠٠٨، ص٣٠٨.

(2) محمد علي الصويركي، مقالات ودراسات كردية، منشورات مركز الدراسات الكردية، السليمانية ، ٢٠١٠، ص٨٤.

(3) محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية، تر(ترجمة): الملا جميل أحمد الروزبياني، شركة النشر للطباعة العراقية المحدودة، بغداد، ١٩٥١، ص٢٢٣.

(4) محمد الخال، الشيخ معروف النودهي البرزنجي، مطبعة التمدن، بغداد، ١٩٦١، ص٢٠٠؛ محمد أمين زكي، مشاهير الكرد وكردستان، تر: (الانسة كريمته)، ج٢، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٤٧، ص٢٠١.

(5) تقديراً للمكانة العلمية للنودهي (نسبة إلى قرية نودي الواقعة في منطقة شهربازار التابعة لقضاء جوارتا) بادرت وزارة الاوقاف والشؤون الدينية العراقية سابقاً بجمع مؤلفاته الباقية وتم تحقيقها ونظراً لتنوعها وكثرتها قدمت بخمسة مجاميع وتحت عنوان (الاعمال الكاملة للشيخ معروف النودهي البرزنجي الكردي ١١٦٦-١٢٥٤هـ) طبعت في بغداد (١٩٨٤-١٩٨٨م).

(6) عزيز الحاج، القضية الكردية في العشرينات، ط٢، مطبعة الانتصار، بغداد، ١٩٨٥، ص٩٦.

(7) للمزيد من التفاصيل ينظر: عبدالرحمن إدريس صالح، الشيخ محمود الحفيد (البرزنجي) والنفوذ البريطاني في كردستان العراق حتى ١٩٢٥، ط١، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٥، ص٣٨-٣٩.

(8) "كتابات في المسألة الكردية"، المصدر السابق، ص٣٠٨-٣٠٩.

(9) فاروق الحريري، الحرب العظمى – الحرب العالمية الأولى (دراسة عسكرية)، ج١، ط١، المطابع العسكرية، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٠.

(10) "التآخي"، (جريدة)، بغداد، العدد ٤٦٢، ١٤حزيران ١٩٧٠.

(11) كان من بين تلك الشخصيات التي توجهت لخوض معركة الشعيبة الشيخ محمود الحفيد البرزنجي وعبدالله اليعقوبي ومحمد علي قيردار واحمد خانقاه ونامق بك الهماوندي. للمزيد من التفاصيل ينظر: شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ط٨، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤، ص٢٨.

(12) رفيق حلمي، مذكرات، تر: جميل بندي الروزبياني، ج١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٧، ص٥٣ .

(13) حرص أهالي السماوة على استضافة المقاتلين الكرد وردد شعرائها أهازيج لمدح الكرد، منها خصت الشيخ محمود الحفيد شخصياً جاء فيها : (ثلثين الجنة لهادينا وثلث لكاكا أحمد واكرده) وكاكا أحمد هو جد الشيخ محمود الحفيد. للمزيد من التفاصيل ينظر: كمال مظهر أحمد، دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية، مطبعة الحوادث، بغداد، ١٩٧٨، ص٩٢؛ عبدالرحمن إدريس صالح، الشيخ محمود الحفيد...، ص٨٨.

(14) فاروق الحريري، المصدر السابق، ص٧٠.

(15) شكري محمود نديم، المصدر السابق ، ص٣٢.

(16) أي. أج. بيرن، حرب العراق (الصفحة الاخيرة)، تر: عزيز داخل، مطبعة الجيش، بغداد، د.س (دون سنة)، ص٦.

(17) للمزيد من التفاصيل ينظر: علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٦، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٦، ص٣٧؛ عبدالرحمن إدريس صالح، الشيخ محمود الحفيد...، ص ٨٨-٩٢.

(18) محمد علي الصويركي، المصدر السابق، ص ٦٨-٦٩.

(19) الشيخ محمود الحفيد: هو الشيخ محمود بن سعيد بن محمد بن حاجي كاكا أحمد بن محمد (معروف النودهي) من مواليد السليمانية ١٨٨٢، ينحدر من اسرة دينية اتخذت التصوف خياراً فكرياً ومساراً اجتماعياً لها، تربى في بيت علم ودين وشرف، عاصر أحداثاً هامة كان لها اثر واضح في حياته اذ قفزت به إلى المواقع القيادية من بين اقرانه من تلك الاسرة (البرزنجية) آنذاك، شغل الحكومتين البريطانية والعراقية بحركات مسلحة عدة خلال تلك الحقبة. شكّل حكومته الأولى في السليمانية خلال المدة (تشرين الثاني ١٩١٨- حزيران ١٩١٩) والحكومة الثانية خلال المادة (تشرين الأول ١٩٢٢- تموز ١٩٢٣) ، كان قد أعلن نفسه ملكاً على كردستان في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٢، جُردت ضد حركاته حملات عسكرية عدة، يُعد من ابرز قادة حركة النضال الوطني الكردي في التاريخ المعاصر. توفى في بغداد (٩ تشرين الأول ١٩٥٦) ودفن في السليمانية. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبدالرحمن إدريس صالح، الشيخ محمود الحفيد...

(20) كمال مظهر احمد، وثائق وحقائق جديدة عن حركات الشيخ محمود، "التآخي"، العدد ١٤٥٤، ٨ تشرين الأول ١٩٧٣.

(21) عندما عُرض موضوع ترشيح الامير فيصل بن الحسين لتسنم عرش العراق لم يكن الكرد جميعهم على رأي واحد، وامتنع كرد السليمانية عن الاشتراك في الترشيح وآزرهم في ذلك فريق من كرد كركوك. ينظر: عبدالرحمن قاسملو، كردستان والاكراد، تر: ثابت منصور، د.م، ١٩٦٨، ص٥٨.

(22) هناك الكثير من الشخصيات الكردية العراقية ممن اثبتت جدارتها الادارية، وكانت مخلصة في أداء واجبها الوظيفي خلال خدمتها في ادارة الحكومة العراقية أبان العهد الملكي، وقد أثبتت لنا دراستنا عن شخصية سعيد قزاز (وبشهادة بعض المختصين في هذا المجال) إنه كان مثالاً للاداري المخلص الناجح الذي عمل لصالح عراقيته أولاً دون أن يتخلى عن اعتزازه بقوميته الكردية ثانياً. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبدالرحمن إدريس صالح، سعيد قزاز ودوره في سياسة العراق حتى عام ١٩٥٩، ط٢، مؤسسة ژين ، مطبعة شڤان، السليمانية، ٢٠٠٩.

(23) للمزيد من التفاصيل يُنظر: علاء جاسم محمّد الحربي، وزراء خارجية العراق في العهد الملكي، ملحق مجلة كلية التربية – الجامعة المستنصرية، العدد الرابع، سنة ٢٠٠١، ص٢٣.

(24) اعترفت المس بيل في رسالتها (في الأول من حزيران ١٩٢٠) بأن وحدة الصف بين السنة والشيعة "تصعب علينا مقاومتها" وإن العراقيين يسيرون في مسلكهم الوحدوي إلى النهاية. وأكدت على أن اجتماعات العراقيين قبل ثورة العشرين كانت تعقد مرة في احد الجوامع السنة وأخرى في أحد جوامع الشيعة "ويحضرها الجميع من الطائفتين معاً" للمزيد من التفاصيل ينظر: "العراق في رسائل المس بيل"، ترجمة. جعفر الخياط، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص١٣٥. ومن ناحيتنا لم نجد في حديث بيل ما هو مستغرب كونه مثلَ الرؤيا البريطانية فضلاً عن كونه دليلاً واضحاً على وحدة الصف العراقي التي كانت تقضُ مضاجع البريطانيين آنذاك.

(25) للمزيد من التفاصيل ينظر: عبدالله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٩.

(26) دبيلو.أر. هي، سنتان في كردستان (١٩١٨-١٩٢٠)، تر: فؤاد جميل، ج٢، مطابع الجاحظ، بغداد، ١٩٧٣، ص١٠٤.

(27) ستفين همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٥٠- تأريخ سياسي، اجتماعي واقتصادي، تر: سليم طه التكريتي، ج١، ط١، مطبعة حسام، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٠٣. لم تظهر شواهد ثورة العشرين بشكل

واضح في مدينة السليمانية وذلك لان أثار الحملة العسكرية للقوات البريطانية على المدينة بسبب حركات الشيخ محمود الحفيد لم يكن قد مضى عليها وقت طويل، فضلاً عن تأثير الضابط السياسي للمدينة الميجر سون وسيطرته هناك.

(28) أشار أدموندز في خطاب ألقاه أمام الجمعية الملكية لآسيا الوسطى بتاريخ ٢٥تشرين الأول ١٩٦٦ إلى أن الوسيط الذي يتدخل لايجاد حل مناسب للقضية الكردية عليه أن يراعي ثلاث نواحي أساسية هي أولاً: الناحية الجغرافية وعنى بها الحدود. ثانياً: الناحية الادارية أي تحديد سلطات الحكومة المركزية والسلطات المحلية في ظل نظام اللامركزية إذا ما طبق. ثالثاً: الناحية النفسية ويعني خلق وتدعيم الثقة المتبادلة بين الطرفين. للمزيد من التفاصيل عن خطاب أدموندز ينظر: "كتابات في المسألة الكردية"، المصدر السابق، ص١٧٩-١٩٥.

(29) سي. جي. أدموندز، كرد وترك وعرب، تر: جرجيس فتح الله ، مطبعة التايمس، بغداد، ١٩٧١، ص٣٧٦.

(30) المصدر نفسه، ص٣٧٦- ٣٧٧. كما أرسل كرد العراق مذكرة إلى عصبة الامم أشاروا فيها إلى أن ضم كرد الموصل إلى تركيا يعد جريمة ضد حقوق الشعب الكردي وأوضحوا معارضتهم الشديدة لمطالبة الحكومة التركية بالموصل. محمد الطاهر محمد، القضية الكردية وحق تقرير المصير، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص١٢٦.

(31) فاضل حسين، مشكلة الموصل (دراسة في الدبلوماسية العراقية – الانكليزية – التركية وفي الرأي العام)، ط٢، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٧، ص٢٢٠-٢٢٥؛ سي. جي. أدموندز، المصدر السابق، ص٣٧٤-٣٧٦.

(32) عبدالجبار عبد مصطفى، تجربة العمل الجبهوي في العراق بين ١٩٢١-١٩٥٨، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٨، ص١٩٩، ٢٠١.

(33) أمين سعيد، أيام بغداد، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٣٤، ص٢٠٥.

(34) "تقرير أمين زكي نائب السليمانية بشأن الجيش العراقي"، طبع في مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٢٩. عرض أمين زكي ملاحظاته في مسألة الجيش العراقي في حالته التي كان عليها عام ١٩٢٨ وكيف يجب أن يكون عليه الجيش، واشتمل التقرير على (٣٤) صفحة عرض فيها زكي كل أفكاره وخبرته في معالجة الجيش وإصلاحه. قُدّم التقرير إلى رئيس المجلس النيابي في ٢٩كانون الأول ١٩٢٨.

(35) للمزيد من التفاصيل ينظر: كمال مظهر أحمد، صفحات من تأريخ العراق المعاصر (دراسة تحليلية)، منشورات مكتبة البدليسي، طبع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ص١٢٥-١٢٨.

(36) أكد جلال الطالباني على أن علاقة الحزب الديمقراطي الكردي غداة تأسيسه بالأحزاب العراقية الأخرى كانت وثيقة. ينظر: جلال الطالباني، كردستان والحركة القومية الكردية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، بغداد، ١٩٧١، ص١٦٠.

(37) عبدالجبار عبد مصطفى، المصدر السابق، ص٢١٥-٢٢٣.

(38) علاء جاسم محمد، الملك فيصل الأول – حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق ١٨٨٣-١٩٣٣، ط١، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٤٠.

(39) ينظر: الموقع على شبكة الانترنيت www.gabori.net وعلى العنوان مقابلة مع الدكتور والمفكر الكردي السياسي محمد صالح كَابوري، مجلة دراسات كردستان، السويد، ٢٠٠٠، page 11of 20.